

كتب قداسة البابا شنودة الثالث



www.st-mgalx.com

من عظام
قراءة الباب السنوية الثانية

الحمد والنعمة



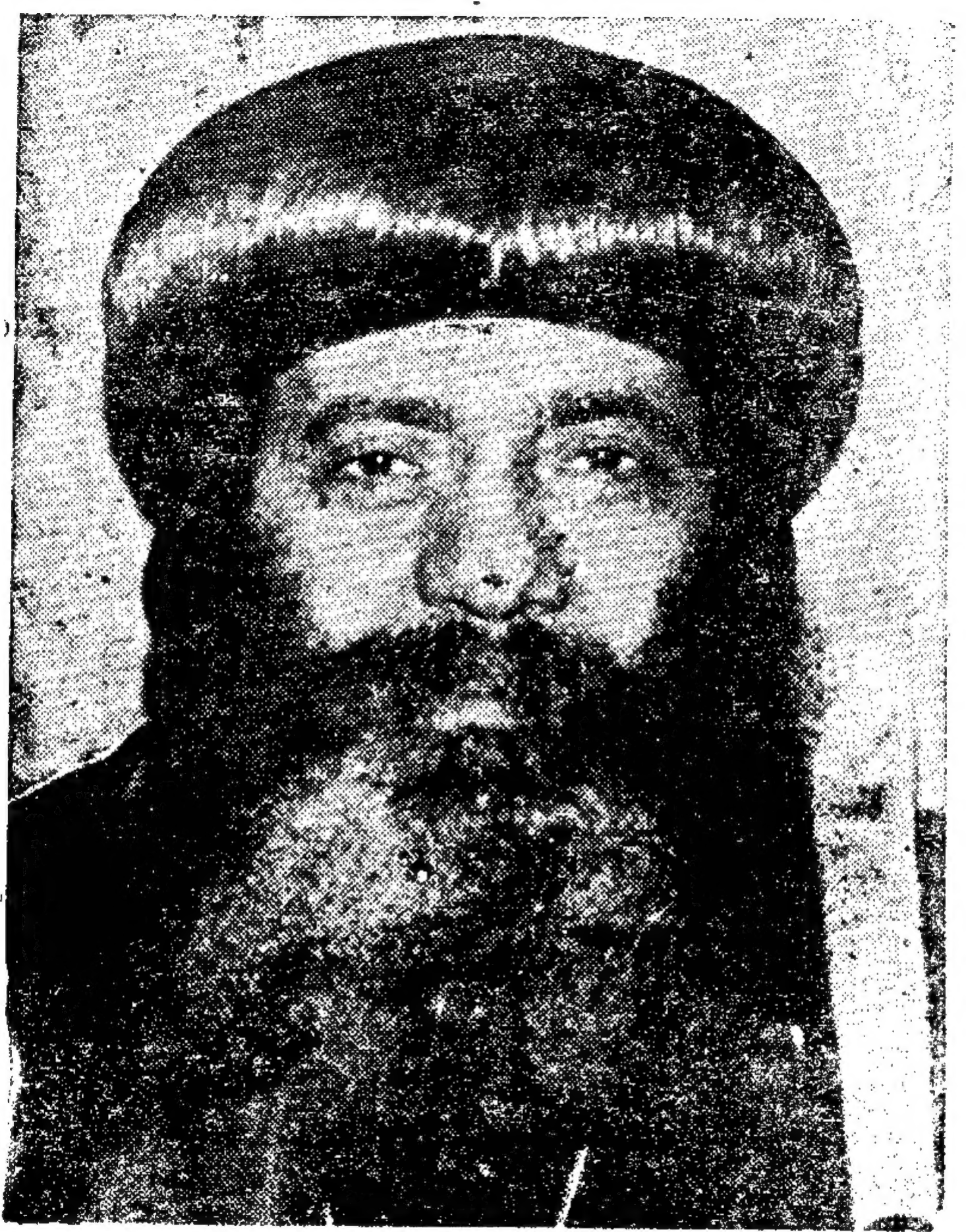
كنيسة السيدة العذراء
محرم بكت اسكندرية

الجهاد والنعمت

لغبطة البابا المعظم

الانبا شنودة الثالث





قداسة البابا المعظم

الانبيسا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطربرك الكرازة المرقسية

مقدمة

تحتوى هذه النبذة احدى محاضرات قداسة البابا المعظم
الانبا شنودة الثالث التى القاها - واربعاً اخرى غيرها -
بالمؤتمر الاول لخدام التربية الكنسية بالاسكندرية عام ١٩٦٨
بكنيسة الاقديس مارمينا بالمنندرة - وكان قداسته عندئذ
أسقفاً للتعليم - وقد سبق لمكتبة كنيسة السيدة العذراء محرم
بك ان طبعت المحاضرات الخمس المذكورة طبعة اولى عام
١٩٧١ - وهو اول عام لتبوا قداسته السدة الرسولية .

ولقد نفذت الطبعة الاولى لتلك المحاضرات وازاء اللاحاح
فى طلبها راينا ان نقوم باعادة طبعتها واحدة بعد الاخرى
وها نحن نقدم الطبعة الثانية لهذه المحاضرة من

الحمد والنعمة

راجين الرب ان يجعلها لخير القراء ولبركة حياتهم
وشركتهم فى الرب . ببركة صلوات قداسة البابا المعظم
الانبا شنودة الثالث اطلال الله حياته ورئاسته لكنيسة
صنين عديدة وازمنة سالمة مديدة - آمين .

الكنيسة

الجهاد والنعمة

ان الاعتدال في الامور الروحية ينقذ الانسان من سقطات كثيرة . وعيب الانسان انه في بعض الاوقات يتحمس لنقطة معينة ، ويركز فيها كل فكره ، وينسى باقى النقط التي تتعلق بالموضوع ، وبهذا يخطئ .

الجهاد والنعمة معا :

كيف يخلص الانسان — هل بالجهاد وحده أم بالنعمة وحدها ؟ لا يمكن للانسان أن يخلص بالجهاد وحده . فالسيد المسيح يقول : « بدوني لا تقدر ان تفعلوا شيئا » يو ١٥ : ٥ . فمهما جاهدت ومهما تعبت لا يمكن أن تصل الى نتيجة بدون معونة من الله — وأيضا من جهة النعمة « ان الله لا يريدنا ان نكون مستلقين على ظهورنا ويعطينا الماكوت » كما قال يوحنا ذهبي الفم . « اذلك فالنعمة لا تفعل شيء » . فهي ليست مجالا للكسل والتهاون والتراخي . فلا تتسرك نفسك دون ان تعمل شيئا ، وتقول ان النعمة تعمل كل شيء . فهذا معناه أنك تنام ولا تبذل أى جهد وتتهاون في أداء واجباتك ثم تقول ان النعمة هي التي تعمل .

كان يشوع بن نون يقود جيش شعب الله ويحارب ، وفي نفس الوقت كان موسى النبي يقف على الجبل رافعاً يديه بالصلاة حتى النصر . فهل انتصر شعب الله عن طريق جيش يشوع أم عن طريق صلاة موسى ؟ يخطيء من يخصص واحدة فقط من الاثنين . لان يشوع وحده مهما حارب بدون صلاة موسى — أى بدون معونة الله — لا يمكن أن ينتصر . وصلاة موسى وحدها ليس معناها تشجيع شعب الله أن يتراخى ويتكاسل ويهرب من أمام العدو ، ويقول تكفى صلاة موسى . الجهاد والصلاة كانا سائرين سسويا . هذا يجاهد في الحرب ، وذاك يصلى الجهاد والنعمة متلازمان .

هناك عبارة جميلة او فهمناها لفهمنا كثيرا عن النعمة والجهاد . تقول البركة الرسولية : نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم ٢ كو ١٣ : ١٤
فما معنى عبارة « شركة الروح القدس » انها شركة بين اثنين يعملان سويا : الروح القدس والانسان . فالروح القدس يقدر ان ينقذك وينجيك ولكنه لا يفعل هذا بمفرده ، وانما يريدك ان تشترك معه في تدبير حياته . تقول كيف هذا ؟ ان الروح القدس وحده يكفى ، اذن ما الفرق بين الذين خلصوا والذين لم يخلصوا . . بين الابرار والاشرار ؟ اذا كان الروح

القدس يعمل وحده كل شيء : فلماذا يوجد انسان خاطيء
على الارض ؟ لماذا لم يتب هذا الخاطيء ويخلص ؟ لماذا لم
يتوبه الروح القدس ان كان الروح القدس يعمل وحده كل
شيء ؟!

ان كان كل شيء بواسطة النعمة وحدها ، فلماذا لا تعمل
في جميع الناس ؟ وبذلك لا يكون هناك خاطيء واحد في العالم ،
ان مجرد وجود انسان خاطيء واحد في العالم دليل قوى على
ان النعمة لا تعمل وحدها كل شيء . .

هل عمل النعمة معناه الفناء الحرية الشخصية ؟

ان الروح القدس يعمل غينا لاجل الخير . وبر الانسان ياتى
نتيجة اتحاد ارادته بعمل النعمة ، نتيجة شركة الروح
القدس . . فارادتك تتحد مع الروح القدس في خلاص
نفسك ، وهذه هى شركة الروح القدس . والانسان يستطيع
بارادته الحرة ان يوقف عمل الروح القدس فيه . فالكتاب
يقول : « لا تطفئوا الروح » ١ تس ٥ : ١٩ . ويقول ايضا
« لا تحزنوا روح الله » اف ٤ : ٣٠ . والنعمة واقفة على
الباب تقرع . . « ها انذا واقف على الباب واقرع ، ان سمع
احد صوتى وفتح الباب ادخل اليه واتعشى معه وهو معى »
رؤ ٣ : ٢٠ . فالنعمة تعرض معونتها عليك ، وانت حر تقبل

أو لا تقبل .. تعمل أو لا تعمل .. إذا اشتركت مع الروح القدس في العمل ، تصل بنعمة الروح القدس الى كمال القداسة . وإذا رغضت الاشتراك ، فالنعمة وحدها لا يمكن أن ترغمك على الخير .

يتطرف كثير من الناس لدرجة أن كامة الجهاد الشخصي تبدو كما لو كانت هرطقة ، كما لو كانت عملاً ضد الإيمان ، وضد معونة الله . وهذا خطأ . فالنعمة عبارة عن سلاح يمكنك به أن تحارب لو أردت ويمكنك أيضاً أن لا تحارب . فعلى حسب ارادتك واشتغالك بهذا السلاح يكون خلاص نفسك . واحد مثلاً في الحرب أعطى دبابة وقتل وصدف ومداغف وأسلحة وانتصر . فهل انتصر راجع الى الأسلحة وحدها ؟ وهل الحرب كلها كانت متوقفة على السلاح فقط ؟ كلا ، لان السلاح وحده لا يعمل إذا لم يكن هناك الشخص الذى يعمل بالسلاح ، كذلك الانتصارات فى الحرب الروحية ، هى اشتراك مع نعمة الروح القدس التى هى السلاح .

ضرورة الجهاد :

كثيرة هى الايات التى تشرح ضرورة الجهاد .. وكمثال : يقول الكتاب : « اذلك نحن أيضاً اذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا ، لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا

بسهولة ولتخاصر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا «
عب ١٢ : ١ . يقول الرسول هذا ، ثم يوبخ العبرانيين قائلا :
« لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية » عب ١٢ : ٤

فالمفروض أن نجاهد ، وليس جهادا عاديا ، انما جهاد حتى
الدم ضد الخطية . ثم الى متى هذا الجهاد ؟ يقول الرب :
« الذي يصبر الى المنتهى فهذا يخلص » مت ١٠ : ٢٢ .

وهنا يعترض الذين يقولون بأهمية النعمة دون الجهاد
بالاية القائلة : « ليس لمن يشاء ولا لمن يسمى بل الله الذي
يرحم » رو ٩ : ١٦ . ما معنى هذا ؟ هل رحمة الله هي التي
تعطينا الخلاص المجاني ، وتنقلنا الى المالكوت ، بدون سعي
وبدون مشيئة صالحة ؟ مستحيل !! . هل معنى هذا ان كل
انسان ينام في الخطية كما يريد ، ولا يسمى نحو الخير ، ولا
يريده ، يرحمه الله ؟ كلا . فان بولس نفسه الذي كتب هذه
الكلمات يقول : « قد جاهدت الجهاد الحسن اكملت السعي
حفظت الايمان واخيرا قد وضع لي اكليل البر » ٢ تي
٤ : ٧ ، ٨ . ان الذي قال « ليس لمن يسمى » قد اكمل
السعي ، ونال اكليل البر نتيجة لهذا السعي وهذا الجهاد
الحسن .

بل أن بولس نفسه يقول أكثر من هذا : « الستم تعاملون أن الذين يركضون في الميدان جميعهم يركضون ولكن واحدا يأخذ الجعالة هكذا اركضوا لكي تنالوا » ١ كو ٩ : ٢٤ . فكيف نركض ؟ والامر ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى !! « وما فائدة أن نركض ونجاهد ؟ كفائى أن أجلس كما أنا ، وتأتينى النعمة من عند الله وتنقلنى الى الملكوت ، دون أن أشاء ودون أن أسعى !! » وهذا لا يكون ، إذ أن بولس يكمل ويقول « وكل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء أما أولئك فلكي ياخذوا اكليلا يفنى وأما نحن فاكليلا لا يفنى . إذا أنا اركض هكذا . . بل اقمع جسدى واستعبده حتى بعدما كررت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضا » ١ كو ٩ : ٢٥ - ٢٦ .

فبولس نفسه يركض ، بولس الذى كان ممثلا من الروح القدس ، الذى كانت تعمل فيه النعمة أكثر من الجميع ، هل كان محتاجا أن يركض ؟ . . نعم كان محتاجا ، لكي ينال . بل يقمع جسده ويستعبده حتى لا يصير هو نفسه مرفوضا . فان كان بولس الرسول يجاهد ، ويخاف أن يركض ، فماذا نفعل نحن ؟! . .



هل يقف الجهاد في وقت ما ؟

لا يظن احد انه يمكن ان يسلم الانسان نفسه للنعمة ويؤمن ويخلص وكفى — يقول البعض انه خلص وانتهى الامر ، فما معنى كلمة « خلص ؟ » اتعنى ان النعمة قد عملت فيه وخلصته وكفى ، فهو لا يحتاج للجهاد لانه قد ضمن السجاء في قبضته ؟ ان هذا خطأ بلا شك ، لاننا نحتاج الى الجهاد حتى الدم كل ايام الحياة فليس معنى انك « تجددت وولدت ولادة جديدة » ان ينتهى جهادك ، فانت محتاج ان تقاوم حتى الدم . لان اناسا كثيرين بداوا بداءة حسنة ، وانتهى بهم الامر الى الهلاك

يحدثنا بولس الرسول عن اشخاص « بداوا بالروح واكملوا بالجسد » غل ٣ : ٣ . فاین كانت النعمة عندها هلکوا ؟ لقد تركتهم لحرية ارادتهم . والرب لا يفرض الخلاص على احد ، ولا يرغبك على الخلاص . ان النعمة لا تمسك حياتك وترسلها الى ملكوت السموات بالاجبار . لان الانسان ليس مسيرا نحو الخير يتحدث بولس الرسول عن ديماس انه تركه اذ احب العالم الحاضر ٢ تي ٤ : ١٠ . فاین كانت النعمة عندها هلك ديماس ؟ كانت موجودة لكنه لم يعمل معها . ويقول بولس في رسالته الى اهل فيلبى : « لان كثيرين يسرون ممن كنت اذكرهم لكم مزارا والان اذكرهم ايضا باكيا وهم اعداء

صليب المسيح الذين نهائيتهم الهلاك « في ٣ : ١٨ ، ١١ .
هؤلاء اشخاص كانوا اعمدة في الكنيسة ، وكانوا من مساعدي
بولس الاقوياء ، وكانت تعمل فيهم النعمة بقوة ، لقد نال
هؤلاء الخلاص ، ولكنهم فقدوه في الطريق ، وفقدوه الى
الابد ، اذ يقول بولس : « ان نهائيتهم الهلاك » .

اذن ليس كافيا ان تكون نعمة الله موجودة معنا وانما
لا بد لنا ان نجاهد بكل قوتنا — وصحيح « ليس لمن يشاء ولا
لمن يسعى بل لله الذي يرحم » ، لكن من هم الذين يرحمهم
الله ؟ ان الله يرحم الذين يشاعون ويسمعون . قوة الله هي
التي تعطيهم النصر والغلبة ، ولكنهم اذا لم يشاعوا ولم
يسعوا يهلكون . لما تكلم بولس في مسألة المتحيزين الى
ابولس ، شرح ان المسألة ليست مسألة بولس ولا ابولس
اكو ١ ، ٣ . لان واحدا غرس والاخر سقى لكن الله هو
الذي ينمي : « اذن ليس الغارس شيئا ولا الساقى بل الله
الذي ينمي » اكو ٣ : ٧ . فلا بد من الغرس ومن الري حتى
ينمي الله . والله الذي ينمي هو الذي يرجع اليه الفضل .
ولكن ليس معنى هذا ان نمتنع عن الغرس والسقى .



الحرب الروحية :

لنتأمل الكتاب المقدس عندما يصف لنا الحروب الروحية في
الاصحاح السادس من الرسالة الى اهل افسس الذى يقول:

« أخيرا يا اخوتى تقووا في الرب وفي شدة قوته ، لبسوا
سلاح الله الكامل لكي تقدرُوا أن تثبتُوا ضد مكائد ابليس
فإن مصارعنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع
السلطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد
الشر الروحية في السماويات ، من أجل ذلك احملُوا سلاح الله
الكامل لكي تقدرُوا أن تقاومُوا في اليوم الشرير ، وبعد أن
تتممُوا كل شئ أن تثبتُوا فائبتُوا منطقيين أحقاعكم بالحق
ولابسين درع البر وحاذين أرجلكم باستعداد انجيل السلام ،
حاملين فوق الكل ترس الايمان الذى به تقدرُونَ أن تطفئُوا
جميع سهام الشرير الملهبة ، وخذُوا خوذة الخلاص وسيف
الروح الذى هو كلمة الله . مصليين بكل صلاة وطلبه كل
وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبه لأجل
جميع القديسين ولأجل » أف ٦ : ١٠ ، ١١ .

هنا مصارعة وهنا حرب روحية ، أى أن هنا جهادا ،
والسلاح هو سلاح الله ، هو الايمان ، هو الاعتماد على
الرب . لكن ليس معنى ذلك أننا لا نجاهد ، فالنعمة هى

السلاح ، والجهاد هو الحرب جاهد اذن * واعتمد على الله
في جهادك ، والله سوف ينصرك . ولا تصبح مثل شخص
أخذ ترس الايمان وخوذة الخلاص وسيف الروح ومنطقة
الحق ودرع البر ووقف ساكنا لا يحارب . فكيف ينتصر ان لم
يستعمل درع البر وسيف الروح الذي هو كلمة الله .

انها حرب وجهاد وقتال وصراع ، والاسلحة هي اسلحة الله ،
ولكن لا بد لك ان تستخدمها وتحارب بها ، والا فستهزم . ان
الاشخاص الذين ذكرهم بولس باكيا كانت معهم الاسلحة
الروحية ولكنهم لم يحاربوا ولم يجاهدوا ، ومالت نفوسهم نحو
الخطية واستسلمت ، فهلكوا في خطاياهم .

عندما حارب داود جليات الجبار ، كيف انتصر ؟ .. بقوة
الله . قال له : « أنت تأتي الى بسيف وبرمح وبترس وانا
أتى اليك باسم رب الجنود » ١ صم ١٧ : ٤٥ . فداود انتصر
بسيف الله ، بقوة الله ومعونته . ولكنه حارب ، وانتخب له
خمس حجارة ملساء من الوادي ، وكان مقلعه بيده ، وتقدم
نحو الفلستيني وأخذ حجرا من الخمسة ورماه بالمقلع ،
وضرب الفلستيني في جبهته فسقط على وجهه الى الارض
١ صم ١٧ : ٤٠ . فداود حارب ، والله هو الذي نصره .
لانه كان من الممكن ان الحصاة لا تأتي في موضع قاتل بالنسبة

لجبايات فلا يقتل . لكن الله اعطاه قوة وقتل الجبار . لذلك قال بولس : « ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم » .

ويقول بولس الرسول ايضا : « ان كان احد يجاهد لا يكلل ان لم يجاهد قانونيا » ٢ تى ٢ : ٥ ، اذن لابد ان تجاهد ، وتجاهد جهادا قانونيا ، وبهذا تخلص . ويقول بطرس الرسول : « اصحوا واسهروا لان ابليس خصمكم كاسد زائر يجول ملتصبا من يبتلعه هو . فقاوموه راسخين فى الايمان » ١ بط ٥ : ٨ . اى جاهدوا ضده ، وليس بقوتكم بل راسخين فى الايمان ، اى قاوموه بنعمة الله . جاهد ولا تعتمد على ذراعك البشرية . جاهد بكل ما اعطيت من قوة ، معتمدا على نعمة الله ومعونته وفعل الروح القدس .

يقول البعض ان الجهاد هو ذراع بشرى — « وملعون من يتكل على ذراع بشرى » . والحقيقة ان الجهاد يصبح ذراعا بشريا ، لو اعتمد الشخص على ذاته فقط . لو كان يعتبر انه بمجرد جهاده فقط يخلص . هنا تنفأ امامه الاية القائلة : « لانكم بدونى لا تقدرُونَ ان تفعلوا شيئا » يو ١٥ : ٥ . ان بدون سلاح لا تصلح . وهذا ليس معناه ان الحرب لا قيمة لها ، بل معناه اننا عندما نحارب بدون سلاح — اى بدون نعمة الله ومعونته — فائنا لا نتصر .

جهاد الرسل والرعاة :

وهل الرسل أم يجاهدوا ولم يتعبوا من أجل الايمان ؟ ان بولس الرسول نفسه يقول « انا تعبت اكثر منهم جميعهم » ١ كو ١٥ : ١٠ . كُهم تعبوا ، وبولس تعب اكثر ، تعباً سجله في رسالته الى كورنثوس ٢ كو ١١ : ٢٣ ، ٣٣ . فاذا كانت المسألة مجرد نعمة ، لماذا يتعب بولس ؟ وما لزوم الكرازة والوعظ والنصح والتبشير والرعاية والتعب ، فالنعمة تعمل كل شيء ؟ ! ولماذا ترعى وتفتقد وتجاهد وتتعب ذاتك ؟ اليس الله قادرا ان يتكلم في قلوب الناس ويخلصهم وحده ؟ ! وما لزوم الرسل والرعاة والوعاظ ؟ ! وما لزوم كل جهاد ؟ هل هو اعتماد على ذراع بشرية ؟ ! لو كانت النعمة تعمل وحدها كل شيء ، فالكاهن ينام ويصلى ويقول « انت يا رب ترعى شعبك . لماذا اجاهد ؟ لانه ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل انت الذي ترعى الشعب » ! والواعظ ، لماذا يعظ ؟ يكفيه ان ينام في البيت مستريحا ، ويقول « نعمتك يا رب تتكلم في قلوب الناس وترشدكم وتخلصهم » ! وانت لماذا تتعب نفسك في حياتك الخاصة في الصلاة وفي الصوم وفي الجهاد ؟ كفاك ان تكون مع النعمة ؟ هل ترمى نفسك في الاوساط الشريرة وتقول « النعمة تخلصني » ؟ ! هل تجلس في مجالس المستهزئين وتسير في طرق الخطاة وتقول « النعمة

لا تجعلني أتأثر بهم « ؟! ولماذا يقول الكتاب « طوبى للرجل
الذى لم يسلك في مشورة الاشرار وفي طريق الخطاة لم يقف
وفي مجلس المستهزئين لم يجلس « ؟! مز ١ . أليس لان هذه
الاشياء كافية بأن تبعده عن النعمة .

الايمان والاعمال :

ان مسألة الجهاد والنعمة يدخل فيها مدأ بروتستانتى
خطير فمارتن لوثر يقول : « كن زانيا ، كن ثاتلا ، كن فاجرا ،
كن فاسقا ، لكن آمن فقط بالذى يبرر الفاجر وانت تخلص »
— هذا الكلام صعب ! فالمسيح رفض الذين عن اليسار اذ
قال لهم « لانى جعت فلم تطعمونى . عطشت فلم تسقونى .
كنت غريبا فلم تأوونى ، عريانا فلم تكسونى ، مريضا
ومحبوسا فلم تزورونى » مت ٢٥ : ٤٢ . اذن من لا يعمل
لن يخلص . ويقول الرب ايضا : « كثيرون سيقولون لى فى
ذلك اليوم يا رب يا رب اليس باسمك تنبأنا وباسمك اخرجنا
شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة فحينئذ اصرح لهم انى
لم أعرفكم قط اذهبوا عنى يا فاعلى الائم » مت ٧ : ٢٢ ، ٢٣ .
والعذارى الجاهلات قلن له : « ياسيد ياسيد افتح لنا »
مت ٢٥ : ١١ . اذ قد كن يؤمن به ، ولكنه لم يفتح لهن بل
طردهن قائلا : « الحق أقول لكن انى لا أعرفكن »
مت ٢٥ : ١٢ .

فكيف هذا ؟ ألا يكفي الايمان وحده ؟ — كلا « فالايمان بدون اعمال ميت » يـع ٢ : ٢٦ . والكتاب يقول أيضا : « اصنعوا اثمارا تليق بالتوبة » مت ٣ : ٨ . بما كان أسهل أن يقول « فلتصنع النعمة فيكم ثمارا » . ان الثمار تتكون فعلا بتدخل عمل النعمة . ولكن الرب لكي يثبت عمل الانسان معها ، قال « اصنعوا اثمارا .. » لذلك ان لم تعمل مع النعمة لا يمكن أن النعمة تخلصك .

قال القديس أغسطينوس : « ان الله الذي خلقك بدونك لا يمكن أن يخلصك بدونك » . فإله خلقك بدون عملك انت ، لكن عندما يخلصك لا بد من عملك انت معه . اذن آية « ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذي يرحم » تعنى ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بمفرده بدون عمل الله معه ، وبدون معونة من الله ، بدون شركة الروح القدس . ان الله يرحم الذين يشاءون ويسعون . ولا بد ان تقول مع بولس « جاهدت الجهاد الحسن واكملت السعى » ، ولا بد ان « تقاوم حتى الدم مجاهدا ضد الخطية » ولكن راسخا في الايمان ومعك السلاح النعمة وبه تنتصر .

التدريب الروحية :

والذين يحاربون الجهاد ، يحاربون أيضا التدريب الروحية .

ولماذا يحاربونها ؟ كما لو كانت هي أيضا اعتمادا على ذراع بشرية ؟

طبعاً لو سلك انسان في التدريب الروحي معتمداً على قوته الخاصة يخطئ . جيداً ان يدرّب نفسه ولكن على قسوة الله .

وبولس الرسول يتحدث هو أيضاً عن تدريبيه فيقول في سفر الاعمال « لذلك انا أيضاً أدرب نفسي ليكون نى دائماً ضمير بلا عثرة من الله والناس » أع ٢٤ : ١٦ . ويقول في رسالته الى فيلبى « وفى جميع الاشياء قد تدربت ان اشبع وأن أجوع وأن أستفضل وأن أنقص » فى ٤ : ١٢ . تدرب فى كل شيء واصبحت له الحواس المدربة ! فلا مانع من أن يسلك الانسان فى التدريب الروحية غير معتمداً على ذاته وقوته الشخصية ، بل على نعمة الله التى تعطى له .

وهنا بعد تمام الحديث — نتطرق الى بعض الاسئلة التى قد تدور فى فكر الفرد لنعرف ما هى الاجابة عليها فيزيد ثباتنا فى النعمة والجهاد :

السؤال الاول :

اذا كان الايمان وحده لا يكفى للخلاص فما الذى فعله
الاص اليمين على الصايب حتى خلص ؟

الجواب :

لقد عمل الاص كثيرا : آمن بالرب فى ظروف قاسية جدا ،
واعترف بهذا الايمان علانية ، الامر الذى لم يقدر عليه
بطرس الرسول وباقى الرسل . واعترف ايضا بخطاياها
لانه قال « نحن بعدل جوزينا » . ودافع عن الرب ، وبكت
الاص الاخر . وأنا — فى هذا المجال — أسأل سؤالا هاما
يسرنى أن أسمع الاجابة عليه وهو « ماذا كان بإمكان هذا
الاص أن يفعل أكثر من هذا ولم يفعله ؟ » ..

مجرد ايمان الاص لم يكن أمرا سهلا . لو أنه آمن بالرب،
وهو يقيم الموتى ، ويشفى المرضى ، وينتهر الريح ، ويمشى
على الماء ، ويعمل المعجزات الخارقة ، لقلنا ان تلك أمورا
واضحة لا تقبل الشك . ولكنه آمن بالمسيح وهو مصاوب !
آمن به وهو مهان ومحتقر من الناس ، وأمام الكل فى حالة
ضعف ! ياطمونونه ، وييصقون على وجهه ، ويستهزئون به ،
ويقولون له « تنبأ من أطمك ! »

كانت المقاومات كثيرة من كل ناحية أمام هذا الايمان . ولو
أن هذا اللص لم يؤمن ، لالتبس له الناس الاعذار ، فكيف
يمكن أن يؤمن برجل مصاوب أنه اله ؟! لابد أن اللص كان
محتاجا الى جهاد كبير ليصل الى هذا الايمان مقاتلا الشكوك
الكثيرة التى تقف أمامه وتكاد تلغى ايمانه . .

انشق حجاب الهيكل ، واظلمت الشمس . . فهل كان هذا
كافيا للإيمان ؟ على الرغم من ذلك لم يؤمن رؤساء الكهنة
والكهنة وأشيوخ والكتبة والفريسيون ، ولم يؤمن اللص
الآخر . . يضاف الى هذا أن المسيح المصلوب يقول « الهى
الهى لماذا تركتنى . . الامر يدعوا الى الشك ، وخاصة
بالنسبة الى لص نشأ فى بيئة معينة . .

من أين أتاه إذن هذا الايمان ؟ هل النعمة عملت فيه ؟
وإذا كانت النعمة قد عملت فيه ، فلماذا لم تعمل فى اللص
الآخر ؟ على الرغم من أنهما فى حالة واحدة وفى مركز واحد
وستنتهى حياتهما بعد فترة وجيزة ؟ فلماذا لم تخلص النعمة
اللص الآخر كما خلصت الاول ؟ قطعاً كانت النعمة تعمل فى
الاثنين . ولكن الذى آمن استسلم لعمل النعمة وقبلة ، وقاوم
الشكوك والشيطان ، وجاهد . بينما الآخر الذى لم يؤمن ،
لم يجاهد ، واستسلم للشكوك والعثرات ، ورفض . فلم

يدخل اللص ملكوت الله بمجرد ايمانه فقط ، بل لجهاده ايضا
ضد الشكوك التى كانت كافية لان تعثره وتبعده عن الايمان .
ان الجهاد ليس قاصرا على التطاحن والتشاجر ، ولكن
هناك جهاد داخلى كجهاد اللص ، الذى جاهد ضد الشكوك
والافكار والتجاذيف .

كل من يقول ان اللص لم يجاهد ، يبدو انه لم يتخيل
ويتصور الموقف الذى احاط باللص ، ذلك الموقف الذى اعثر
فيه جميع الناس حتى التلاميذ الذين قال لهم الرب « كلكم
تشكون فى هذه الليلة » مر ١٤ : ٢٧ . لقد ضرب الراعى
فتبددت الرعية كلها !! ولم يستطع ان يقف الى جوار
الصليب الا المريمات ويوحنا الحبيب فقط ! ينبغى اذن ان
نعرف ان جهاد هذا اللص كان من اعظم انواع الجهادات !

السؤال الثانى :

ما هو التعليم بالاختيار الذى فيه يتم عمل الخلاص
بالنعمة ... ؟

الجواب :

طبعاً لا يمكن ان نتكلم عن الجهاد والنعمة بدون ان نتكلم
عن الاختيار . فما هو الاختيار ؟ وما علاقته بالاية التى تقول .

« أرحم من أرحم وائتراءف على ائتراءف » رو ٩ : ١٥ ؟ هل
معناه أن الله أختار أشخاصا معينين للملكوت ؟ وما هو
المقصود بقوله في سفر الاعمال : « وآمن جميع الذين كانوا
معينين الحياة الابدية » أع ١٣ : ٤٨ .

لكي نفهم ذلك يجب أن يكون لنا ايمان سليم مبنى على اساس
ثابتة . فلابد أن نؤمن أن الله عادل وليس عنده ظلم البتة ،
وان كان غير عادل فلا نؤمن به . وما دام الله عادلا فهل
من المعقول أن يختار أشخاصا معينين للخلاص ؟ فإذا كان
الله يرحم من يرحم ويتراءف على من يتراءف ، ويتسرك
الباقيين للهلاك ، إذن فهو ظالم ! ولكن الكتاب المقدس يرد
على مشكلة الاختيار بأية واضحة تقول « **الله يريد أن الجميع
يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون** » ١ تي ٢ : ٤ . إذن
فما معنى الاختيار ؟ ان الله يدعو جميع الناس لانه يريد أن
الجميع يخلصون . انه لم يختار ولم يحب نوعا معيناً من
الناس أو مجموعة معينة أو « المختارين » فقط ، ولكنه
أحب الجميع اذ يقول الكتاب : « **هكذا أحب الله العالم حتى
بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له
الحياة الابدية** » يو ٣ : ١٦ . وفي حادثة رؤيا كرنيليوس
يقول الكتاب : « **ففتح بطرس فاه وقال : بالحق انا أجد أن
الله لا يقبل الوجوه بل في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر**

مقبول عنده» أع ١٠ : ٣٤ ، ٣٥ . « وكل من يدعو باسم
الرب يخلص » أع ٢ : ٢١ . فهو لم يختار جماعة معينة ،
والا يكون ظالما ، بل يريد أن الجميع يخلصون . لذلك قدم
خلاصا مجانيا كاملا لجميع الناس هذا الخلاص ليس لنا فضل
فيه ، ولا دخل للجهد فيه ، لاننا « متبررون مجانا بنعمته »
رو ٣ : ٢٤ .

ولكن هل خلص الجميع ، بهذا الخلاص المجاني المقدم
للجميع ؟

يقول يوحنا الرسول : « وان أخطأ أحد فلنا شفيع عند
الاب يسوع المسيح البار وهو كفارة ليس لخطايانا فقط بل
لخطايا كل العالم أيضا » ١ يو ٢ : ١ . غدا المسيح الذى
سلك على الصليب كاف لغفران خطايا العالم كله ، فهل
خلص العالم كله ؟ كلا ، لم يخلص العالم كله . لانه يوجد
ناس آمنوا بالخلاص وقبأوه ، وآخرون رفضوه ولم يؤمنوا
به فأمر خلاصك يتوقف اذن على اتفاق ارادتك مع ارادة الله
وقبولك للخلاص . اذك قال المسيح له المجد « يا اورشليم
يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها كم من
مرة أردت أن أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت
جناحيها ولم تريدوا هودا بيتكم يترك لكم خرابا »

مت ٢٣ : ٣٧ فالجميع مدعوون للخلاص ، ولكن الله لا يرغم أحدا على القبول . لذلك عندما دعا للعرس دعا الجميع . حتى غير المستحقين دعاهم أيضا للعرس ودعاهم للخلاص . يقول الكتاب : « ثم قال لعبيده أما العرس فمستعد وأما المدعون فلم يكونوا مستحقين » مت ٢٢ : ٨ .

يقول الكتاب عن عمل النعمة هذا المثل : « خرج الزارع ليُزرع وغيا هو يزرع سقط بعض على الطريق وآخر على الأماكن المحجرة وآخر على الشوك وآخر على الأرض الجيدة .. » مت ١٣ : ٣ - ٨ . ثم تأت كل البذار بثمر ، ليس لأن البذار رديئة ، حاشا ، لأنها كلمة الله الصالحة ونعمة الله العاملة . ولكن لأن النعمة وحدها لا تكفى : فعندما أتت إلى القاب الحجرى لم تأت بثمر . وعندما أتت حيث لم يكن له عمق أو أصل ، نبت قليلا ثم جف النبات ، وفي موضع آخر طالع الشوك وخنقه ، هكذا اهتمامات العالم وحاجياته خفقت الزرع المقدس . فلا بد أن تبعد عن الشوك لكي تخلص نفسك ، لا تجلس في مجالس المستهزئين ولا تسر في طريق الخطاة ، متكلا على عمل النعمة . لأن النعمة لا تخلصك ، ما لم تشترك معها في تخليص نفسك ، وتجاهد كثيرا . مثلما فعات المرأة نازغة الدم لكي تخلص : جاهدت وسط الجمع المزدحم حتى وصلت إلى المسيح ولمست هذب

ثوبه فشفيت في الحال . وأيضا مثلما فعل زكا اذ تسلق
الشجرة حتى رآه المسيح وخاصة ، ولم يمنعه من ذلك
مركزه وكرامته .

فالمسيح مستعد ان يأتى اليك اذا طلبته ولم تقصر في
جهادك ولو فرض أنك قصرت فلماذا لم تخلصك النعمة
من التقصير ؟ لنفرض انى خاطيء واريد ان اتوب ، فهل
تأتى التوبة بارادتي أم بالنعمة ؟ ان كانت بالنعمة فلماذا لم
تتوبنى ، والله يريد ان الجميع يخلصون ؟! ربما لانى طلبت
ولم اعمل ما يتفق وعمل النعمة . فلا بد ان نكافح ، محاربين
بسلاح النعمة لذلك قال بولس الرسول : « لم تقاوموا بعد
حتى الدم مجاهدين ضد الخطيئة » عب ١٢ : ٤ . وقال
أيضا : « اقمع جسدك واستعبده حتى بعد ماكرزت للآخرين
لا اصير أنا نفسى مرفوضا » ١ كو ٩ : ٢٧ . فحتى بولس
كان ممكنا ان يصير مرفوضا ، على ان المسيح ظهر له
والنعمة عملت فيه بقوة . لابد من ان يجاهد الانسان ،
فالجهد هو استخدام لسلاح النعمة .

السؤال الثالث :

هل توجد فترات يمكن ان تفارق فيها النعمة الانسان
المجاهد ؟

الجواب :

النعمة لا تفارق الانسان مقارقة كلية ولكنها جزئية الى حين . فاحيانا اذا تكبر الانسان تفارقه النعمة ، فيسقط ، ويشعر بضعفه ، فلا يعود للكبرياء ثانية ، وفى ذلك يكون هذا التدخل نوعا من انواع العلاج . واحيانا تفارقه قليلا كنوع من السياسة الالهية : حتى يتشوق الى النعمة ، ويطلبها ، وينمو فى الصلاة ، ويشكر الله على استجابة طلباته ، ولا يتهاون ، ويجاهد ، وغير ذلك .

ولربنا كل مجد وكرامة آمين ..

